والحب عروضا في سوق نخاسة هذا العصر
وآن الحمقى والجوف هم الملأى والعقلاء
وآن الارض هي المنفى
والانسان هو المنفيّ ، الوجدان هو المحطوب
القافلة هي الآفلة ، الاقزام عمالقة
آن الـ « نعم » هي المنجية
« اللاء » هي القاتلة
الاذعان جنان من عسل والرفض جهنم من زقوم
والرمل يسفّ ويمضغ بين الفكين زجاجا
وطحين الفقراء تهرّبه الاطباق الطائرة
وزيت قناديل الاكواخ
يصير دواء للجرحى
وربيع الارض ، مواسم حزن وقيود
وشتاء الخصب بوار
وشموس مطفأة
آن هواء مدينتنا مقتلة
سُمّ حربانيّ النزف
وآن قطار بضائعها وسوائمها يقصف
أعمارا كالازهار ، يمزّق تحت سنابكه
لحم الاطفال كلحم الفئران ، يقيم مناحات في أعشاش الريح
ويصفر صفرته الكالحة
فلا تهتزّ بأروقة السلطان اشاره ..
هل ثمة الا الغربة أسكنها
أعتزل جحيم الاحياء
والبس جثة أموات
لا تعرف طعما غير الصمت
ولا وجها غير الاطراق
ولا لونا غير الصفرة
هل ثمة الا الغربة ، أسكنها
هل ثمة الا الغربه ..
هل ثمة الا هذي التجربة الغامضة الصعبه

حمص

●

الطواشا

قصة بقلم سهيل الخالدي

« أتمنى أن أكتب قصة ، قصة تعجب النقاد قدامى ومحدثين ، أقول فيها كل الذي جرى لغيري من الناس الذين لا أعرفهم ، وأذكر كل العبارات والمفردات التي قالوها ، فجارتي مثلا لن تقبل ان اذكر امرأة ما بكت حين عرّاها رجل ما وتفرج طويلا على ما لا يتفرج عليه ، ثم ارتدى ملابسه وخرج . لن تقبل وستعتبرها حكاية مختلقة رغم انها المرأة وان الرجل هو احد الاصدقاء ... أتمنى أن أكتب قصة » .

وخلع عبد العزيز الطواشا ملابسه ودخل في منامته وبأقل من دقيقة كان يدسّ جسده في الفراش « ... أبي سيغضب لو قلت ان شقيقتي التي تنهر اخوتي الصغار اذا ما تلفظ أحدهم بكلمة نابية قد أجهضت قبل يومين ! سيغضب ويعتبرني ولدا عاقا أساهم في تخريب بيته مع عشيقها الضابط » وامتدت يد الطواشا الى علبة السجائر الاميركية « ... ليس أبي أو جارتي فقط ستزعجهما هاته الكلمات ، فكل الرجال وكل النساء سيغضبون ، فالمسألة النسوية في مجتمعنا محلولة ، والرجل عندنا يحب المرأة ويغار عليها ، فكم من واحدة قتلها شقيقها لانها أحبت غيره ... أتمنى أن أكتب قصة » فرك عبد العزيز سيجارته في المنفضة « ... قصة أقول فيها للمرأة في بلدنا انك أمة سواء استعبدك صك زواج أو فاتورة أقمشة ، وانك فقاسة تفرخين عبدا كل عام » وتقلب الطواشا داخل فراشه « .. لو قلت هذا لتحالفت الامة مع سيدها الذي ولدته وقالا : اباحي ، ملحد ، قذر ، يستورد أفكاره ... من ناحيتي سأقبل كل هذه الاوصاف اذا لم يعتبروني خارجا عن قوانين المجتمع، فمسألة الاستيراد لا أنكرها، اذ استوردت أفكاري على نفس الباخرة التي استوردوا هم فيها بضائعهم وبنادقهم التي يقتلون بها النساء والمتظاهرين ... أتمنى أن أكتب قصة » .

وجذب اليه الغطاء بشدة حتى بانت قدمه ثم سحب جسده واتكأ على عارضة السرير وأشعل لفافة وتناول من على منضدة السرير كتابا وراح يقرأ : كيف تكتب العربية بأفكار صهيونية ... رنّ جرس الهاتف ، نظر الى ساعته ، انها الثالثة صبحا « بالتأكيد من مستشفى الولادة حيث الزوجة . لماذا يصر الاطفال على المجيء الى الدنيا في الساعات المتأخرة ؟ ثم من أدراني

ان هذا الوليد مني، ولم تعشق أمه مسؤولا ولم يغتصبها ضابط ؟.. انها مسألة غير مضمونة ... أتمنى أن أكتب قصة » .

قام السيد عبد العزيز الطواشا الى مكتبه بعد أن أحضر من الثلاجة شيئا من جبن وصبّ بعض الكونياك الفاخر في كأس عمرت حتى النصف عسلا... « أمنيتي أن أكتب قصة تروج بين الناس ، فالمهم هو الرواج ، والاساس هو الرواج ، والرواج هو الارب ونهاية الارب . ماذا لو كتبت قصة عن سجين سياسي ؟! لا أظنها تروج فكل الناس سجناء ... قصتي مع زوجتي ، لا لن تروج فكل الناس متزوجون وتخونهم زوجاتهم مع الائمة والرهبان والضباط والمسؤولين ..

لكن لو كتبت « مثلا » قصة ذلك الفتى الفلسطيني الذي كان يبيع الخضر مع أمه العجوز الى أن نال الثانوية وكيف لم يجد عملا « لانه فلسطيني » وكيف طلبوا منه رشوة ولم يستطع دفعها « لانه فلسطيني » وكيف شطبوا اسمه من قائمة البعثات « لانه فلسطيني » ، وكيف باعت أمه فراش الصوف الوحيد الذي أخرجته معها من قريتها وأعطته ثمنه ليذهب تهريبا الى المانيا .. ووعدها بأنه حين يعمل ويسجل في الجامعة سيرسل لها مبلغا من المال لتحجّ به ولكنها ألحت عليه أن يرسل أولا ثمن كيلو تمر لتوزعه على الفقراء وفاء لنذرها بتفوقه » واغلق الطواشا الكتاب وكرع كرعة لا بأس بها من الكأس « ترى لماذا يصرّ الفلسطينيون على الثقافة ؟! منعوا منها فأخذوها بكل الطرق ، منعوا من فلسطينيتهم فساروا اليها على كل الطرق .. انهم مشكلة .. لا ، لن أكتب هذا الموقف في القصة فأنا لا أحب المواقف وأحب الرواج ... انها ستروج حتما فهي قصة انسانية تحتوي على عناصر درامية وفيها فلسطين التي يحبها القراء ومن أجل أن تقرأها الفتيات سأختار لها عنوانا جذابا واذكر ان الفتى أحبّ بنتا ألمانية تشبه بريجيت باردو ، وستوافق عليها الرقابة بعد أن تضيف ان جلالة طويل العمر حين سمع بهذه العجوز رقّ لها قلبه الكريم واهتزت نفسه وتبرع لها على عدة أقساط فصلية بعرجون تمر ... أتمنى أن أكتب قصة » .

جهز السيد الطواشا كرّاسه الانيق ورشف رشفة عميقة من كونياكه الفاخر وكتب عنوانا « البحث عن زوجة غير خائنة » ... انه مباشر ومفضوح ، فهذه القصة يجب أن أصوغها صياغة كلاسيكية بكلمات ثورية مضمونها يعجب النقاد القدامى وشكلها يبهر الجدد وأحداثها تجذب الفتيات ومخرجي السينما ... اذن فالعنوان المناسب هو البحث عن قصة ، لا بل البحث عن .. أواه دائما في البحث والمباحث ... ان شرطي المواقف ينتصب بين فواصلنا والحروف وأنا اكره المواقف فواصلها والحروف ... حتى سيارتي لا أجد لها موقفا في شوارع المدينة فكيف يكون لي موقف في هذه المدينة ؟! » .

ووضع قلمه متأففا .

« لا شيء في هذه المدينة يثير شهية الكتابة ، الموت ممنوع الا على أعواد المشانق ، أو بحوادث الطرق

ممنوع أن تقول نعم

ممنوع أن تقول لا

ممنوع أن يقال ان في مدينتنا شيئا ممنوعا » .

تزحلق الطواشا عن كرسيه ليدير اسطوانة فكانت فيروز تغني .

« أتمنى أن أكون عربيا مرة ، بعض الاصدقاء من معسكر أم كلثوم ، آخرون من معسكر فيروز ، أنا لا أجد فرقا بينهما ... لكن في هذه المدينة يجب أن تتعسكر او تسكر . كونياك الجفر أفضل أنواع المسكرات ، اذا لم يعجبك فهناك كونياك أبو زعبل والا فأفضلها على الاطلاق عرق ماركة السبع في ملهى المزة .. المهم أن تتعسكر أو تسكر » .

دقّ جرس الفيللا ، نهض الطواشا ، الشرطي يأمره باطفاء النور « هذه حكاية جيدة ، الشرطة تسهر على نوم المواطن ، انها أفضل من قصة الفتى الفلسطيني .. فالتجارة هي التجارة لها قواعد وأصول خاصة بما يتعلق بالجديد المبهر .. قصة مثل هذه عنوانها « النوم » ستمكنني من استنباط مدرسة جديدة يطلق عليها النقاد : مدرسة الطواشا الادبية للابداع الجنسي في الفكر السياسي .. انها قصة معقولة ، سأضمنها القصة التي أتمنى أن أكتبها » . وأطفأ الطواشا النور واندسّ مجددا في فراشه المعطر .

« أتمنى أن أكتب قصة

أتمنى أن أخرج من جلدي ـ هذا عمل مسموح به بنص القانون ـ

لاكتب عن جلد اخرج من وطنه ـ هذه مسألة ممنوعة بروح القانون ـ

أتمنى أن أحشر في جلدي ـ عمل يحتاج الى تقديم طلب بعدة نسخ ـ

لاكتب عن جلد حشروه في وطنه ـ لا .. هذه مسألة تهم كتاب المواقف » .

وجذب الطواشا الغطاء جيدا، وهو يفكر في قضية توفير كراج لسيارته . دفن رأسه تحت المخدة اذ وصلته أصوات عمال مبكرين الى عملهم ... كان الفجر يلوح شيئا فشيئا ، غير ان النعاس غلبه فنام .

ملحوظة :

السيد عبد العزيز الطواشا رجل أسمر أزرق العينين ، ألّف ما يزيد عن عشرين كتابا في الادب والاقتصاد والعقيدة والسياسة ، كان آخرها كيف تصبح كاتبا .